المشركين كان إذا جنح أحد للسلم قبل منه ، قالوا : لا .

وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد: أنه إن نزل على حكمي ووضع يده في يدي ، فابعث به ، وإن أبى فاقتله وأصحابه وواطىء الخيل ظهره وصدره ومثّل به . وان أبَيْتَ فاعتزل عملنا وسلّمهُ إلى شمر بن ذي الجوشن الأبرص . ودفع الكتاب إلى شمر ، وقال له : ان فعل ما آمرك به وإلاّ فاضرب عنقه وأنت الأمير على الناس ، وبعث إلى الحسين فأخبره ، فقال : والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبداً .

وناداه عبد الله بن حصين : يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه بطون الحيات ، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً . فقال الحسين : اللهم أقتله عطشاً . فكان يشرب الماء ولا يروى حتى مات عطشاً [1] .

وحمل على الخارجين لقتاله ، وثبت ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائه ووصول سهامهم ورماحهم اليه ، ولولا ما كادوه به من الحيلولة بينه وبين الماء لما قدروا عليه ، وهو الشجاع القرم .

واستحر القتال بأهله ، فانهم ما زالوا يقتلون واحداً بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على خمسين . قال الحسين : اما ذابٌّ يذب عن حرم رسول الله ﷺ ؟ فحينئذ خرج يزيد بن الحارث الرياحي من عسكر أعدائه راكباً فرسه ، وقال : يا ابن رسول الله ، لئن كنت أول من خرج عليك فانني الآن من حزبك ، لعلي أنال بذلك شفاعة جدك ، ثم قاتل حتى قتل .

فلما فني أصحابه وبقي بمفرده حمل عليهم وقتل كثيراً من شجعانهم ، فحمل عليه جمع كثير حالوا بينه وبين حريمه ، فسقط على الأرض فحذوا رأسه — رضي الله عنه — وأكرمه الله بالشهادة يوم الجمعة في يوم عاشوراء عام واحد وستين ، فإنا لله واليه راجعون .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ١١٧ ، ط مصر ١٩٤٩ .